فريق موقع الآجري للتفريغ

سلسلة تفريغات "الثالثة"

(٢٦)

شَرح

كِتَــابِ الكَبَـــائِر وَتَبْيِينِ الْمَحَارِمِ

تَأْلِيف

الْحَافِظِ أَبِي عَبْدِآللهِ مُحَمَّدٍ بنِ أَحْمَدَ بنِ عُثْمَانَ بنِ قَايماز الذَّهَبِيِّ

٦٦٣-٧٤٨ هـ

لفضيلة الشيخ

عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر

الكَبِيرةُ الرَّابِعَة والعِشْرُون: الكَذَّابُ فِي غَالِبِ أقْوالِه

النسخة الإلكترونية الأولى

www.ajurry.com

[أشرطة مفرغة]

بسم الله الرّحمـٰـن الرحيم

[المتن]

الكَبِيرةُ الرَّابِعَة والعِشْرُون

الكَذَّابُ فِي غَالِبِ أَقْوالِه

قَالَ اللهُ –تَعَالَى–: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾[غافر:٢٨].

[الشرح]

قال: (الكَبِيرةُ الرَّابِعَة والعِشْرُون: الكَذَّابُ فِي غَالِب أَقْوالِه)، والكذب كلّه مفسدة؛ لكن تتفاوت مفسدته من أمر إلى أمر؛ إلاّ شيئا يسيرا منه قد يكون فيه شيء من إرادة الإصلاح أو الإحسان أو نحو ذلك، وقد جاء في الشّريعة ما يدلّ على عدم المنع منه، ثمّ ما كان في الكذب من مفاسد هي متفاوتة، والأضرار التي تنجم عنها وتترتّب عليها متفاوتة، ولهذا جاء في الحديث الصّحيح أن النّبي –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– عدّ الكذب من صفات المنافقين، وأنّه ليس من صفات المؤمن وأنّ المؤمن مجانب للكذب بعيد عنه، قال: (الكَذَّابُ فِي غَالِب أَقْوالِه: قَالَ اللهُ –تَعَالَى–: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾)، قال فيه خطورة الكذب على الكذّاب أنّه يكون سببًا في إغلاق باب الهداية عليه وحرمانه من الخير، وهذا المعنى هو أيضا يدلّ عليه ما جاء في الحديث: "لَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا".

[المتن]

وَقَالَ اللهُ –تَعَالَى–: ﴿قُتِلَ الخَرّاصُونَ﴾ [الذّاريات:١٠].

[الشرح]

الخرّاص: هو الذي يقول ما لا يعلم بالتخرّص والظنّون، ويخبر بأشياء ليس متحققا عنها فيكون بذلك كثير الكذب.

[المتن]

وَقَالَ اللهُ –تَعَالَى–: ﴿ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةَ اللّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ [آل عمران:٦١].

[الشرح]

هـٰذه الآية تسمّى آية المباهلة، تسمّى المباهلة، وتكون بين الاثنين كلّ منهما يدّعي أنّه هو الذي على الحقّ، يدّعي أنّه هو الذي على الحقّ وهو الذي على الهدى، فالمباهلة خطيرة جدًّا، والإقدام عليها من الكاذب جناية على نفسه بالغة وخطيرة، يعلم من نفسه أنّه كاذب وأنّه خاطئ ثمّ يباهل، يباهل من أمامه بأنّ لعنة الله على الكاذب وهو يعلم من نفسه أنّه هو الكاذب؛ هـٰذا من أخطر وأشدّ ما يكون في باب الكذب.

[المتن]

وَقَالَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «إِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَلَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

[الشرح]

هـٰذا فيه تنبيه على خطورة الكذب من جهة أنّ وقوع الإنسان في شدته وفي أنواع الكبيرة هو عبر خطوات صغيرة في البداية؛ يعني يبدأ بكَذْبَة ثمّ يُلحقها بثانية ثمّ ثالثة ثمّ يُكتب كذّابا عند الله؛ ولهذا يُغلَق الإنسان على نفسه هـٰذا الباب حتّى في تربية الأولاد الصّغار ينبغي أن يلاحظ هـٰذا الأمر، وكثير من الناس لا يتّقي الله في أولاده ولا يتّقي الله في أولاد المسلمين، فيفعل عندهم أفعالا تُنشّئهم على كذب، مثل أن يقول: تعال أعطيك حلوى، أو يوهمه أنّ بيده شيء ثمّ يصل الطّفل ويفتح اليد ولا يجد فيها شيء، كثيرًا ما يُداعب الأطفال بمثل هذه الطّريقة: يُغلق يده ويقول: تعال خذ، ثمّ يصل الطّفل فرحان يظنّ أنّ في يده حلوى فيفتح اليد لا يجد فيها شيئا، هـٰذا تدريب على الكذب؛ لأنّ الطّفل ولد على الصّدق وبُغض الكذب، فإذا كان يُعامل بهذه الطّريقة أو مثلا يقول: تعال أو سأعطيك كذا أو نحو ذلك ثمّ لا يحصل هـٰذا الأمر، هذا كلّه تدريب له على الكذب والجناية على فطرته، والكذب يبدأ مع الإنسان مراحل وخطوات وقد يكون بعض النّاس الذي بلغ مبلغا واسعا في الكذب، وصار من كبار الكذّابين بداية كذبه على يد والده أو على يد أحد أقربائه هو الذي غرس فيه الكذب، ولا يعلم ذلك، ولا يعلم الجناية التي جناها على ولده، ولهذا هـٰذه ممارسة خاطئة تُفعل كثيرًا، وهي جناية على النَّشْء، وغرس للكذب في نفوسهم، ولهذا يكثر الكذب في الأطفال؛ بسبب هـٰذه المخالفة من الآباء والأمّهات والأقارب في التّعامل مع الأطفال، ولهذا

ينبغي أن يكون من أمام الطّفل قدوات صالحة يعلّمونه الصّدق ولا ينشّئونه على الكذب وغيره من المخالفات.

[المتن]

وَقَالَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ».

وَقَالَ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: «أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا: إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

[الشرح]

في هــٰذا الحديث والذي قبله دليل على خطورة الكذب وأنّه من صفات المنافقين وليس من صفات أهل الإيمان، المؤمن مجانبٌ للكذب، كما قال ذلك أبو بكر -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-: "المؤمن مجانب للكذب"، والكذب من آيات النّفاق؛ يعني علامات النّفاق.

[المتن]

وَقَالَ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «مَنْ تَحَلَّمَ بِحُلْمٍ لَمْ يَرَهُ كُلِّفَ أَنْ يَعْقِدَ بَيْنَ شَعِيرَتَيْنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَنْ يَفْعَلَ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

[الشرح]

«مَنْ تَحَلَّمَ بِحُلْمٍ لَمْ يَرَهُ» يعني قال لإخوانه: إنّني رأيت البارحة في المنام كذا وكذا، وهو لم ير ذلك، وإنّما يُخبر برؤيا مناميّة كاذبة، فيقول: رأيت في المنام كذا وكذا، البارحة أو قبل ليلتين رأيت في المنام أنّني ذهبت إلى كذا أو حصل لي كذا أو نحو ذلك، وهو كاذب؛ يعني أن يُخبر بهذا وهو كاذب، «كُلِّفَ أَنْ يَعْقِدَ بَيْنَ شَعِيرَتَيْنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»، «شَعِيرَتَيْنِ» الشّعيرة هي الحبّة المعروفة، فيُعطى حبّتين من الشّعير ويُقال: اعقد بينهما أو اربط الشّعيرتين بعضهما ببعض ولا يستطيع أن يفعل ذلك ويُعذّب، ويُعذّب على هــٰذا الكذب، يُطلَب منه «أَنْ يَعْقِدَ بَيْنَ شَعِيرَتَيْنِ» أي حبّتين من الشّعير، وهنا هــٰذا الحديث حقيقةً حديث عظيم في إغلاق باب مفسدة وشر على الأمّة، باب مفسدة وشرّ عندما يتذكّر النّاس هــٰذا الحديث فيه إغلاق باب مفسدة وشرّ كثير من أرباب البدع والضّلالات

روّجوا بدعهم بمثل هــٰذا الكذب، وأدخل على النّاس من العقائد ومن الأعمال بمثل هــٰذا الكذب، وأوهم النّاس أنّ له مترلة عند الله ومكانة يوم يقول: رأيت النّبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بالمنام، ويوم يقول: رأيت أَبُو بَكْر، ويوم يقول رأيت عُمَر، واليوم الثّالث جاءني عَلِيّ، يقول: "هــٰذا من أولياء الله المقرّبين!، كل يوم يأتيهم واحد من الصّالحين"، وهو يكذب، وهو يريد من ذلك أن تُقبّل يده، ويريد من ذلك أن يعظم جاهه، ويريد من ذلك أن تزداد مكانته عند النّاس، وكلّ مرّة يأتيهم بكذبة جديدة ويزداد الإقبال عليه، ويبدأ النّاس يعطونه من أموالهم، ويبدأ النّاس يتسابقون على القُرب منه؛ لأنه بمثل هــٰذا الكذب الفاضح أخذ يزكّي نفسه عندهم.

وكثير ما يستعمل أرباب البدع والضّلال مثل هــٰذا الباطل.

أذكر أنّني مرّة وقفت على كتاب مليء بالأذكار المُحدَثة وفي بعضها شركيّات! وبعضها طلاسم!، حتّى إنني وأنا أقلّب الكتاب قلتُ: "سبحان الله من يقبل هــٰذا الكتاب؟!"، كتاب يعني عباراته مفكّكة وفيه شركيّات وفيه بدع وفيه كلمات معقّدة غير مفهومة، قلت في نفسي: "سبحان الله من يقبل هذا الكتاب؟!"، ثمّ لمّا وصلت خاتمة الكتاب وجدت المؤلّف قال: "إنّني بعد ما ألّفت هــٰذا الكتاب توقّفت في نشره، وتردّدت في طبعه، وبقيت فترة من الزّمن متردّدا في طبعه، ثمّ يقول: جاءني الرّسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في المنام وقال: يا فلان لماذا هــٰذا التّأخير؟! لماذا لا تبادر؟!، النّاس في حاجة إلى كتابك!!"، ويقول: "وأيضا توقّفت"، يقول: "وجاءني غدا أبو بكر -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- يقول: لماذا وقد جاءك النّبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في المنام؟!، وجاءني عمر، ووجدت أني مضطر لطبعه وأنّ الناس يستفيدوا منه، وإلاّ أنا كنت متردّد أصلا في طبع الكتاب"، العوام مساكين والجهّال؛ يعني أبو بكر جاء وعمر جاء، وقبل ذلك النّبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فيأخذون الكتاب مأخذ التّسليم ومثل هــٰذا الكذب، راجت بدع على النّاس، وراجت ضلالات، ومن لا يتّقون الله -عزّ وجل- روّجوا لباطلهم بين النّاس بمثل هــٰذه الطّريقة، وهذه العقوبة، والنّبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أغلق بهذا الحديث العظيم المبارك مثل هــٰذا الباب لمن يخاف الله -عزّ وجلّ ويتّقيه.

[المتن]

وَقَالَ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «إِنَّ أفْرَى الْفِرَى: أَنْ يُرِيَ الرَّجُلُ عَيْنَيْهِ مَا لَمْ تَرَيَا» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ أَيْضًا.

[الشرح]

«أَفْرَى الْفِرَى» أي أشدّ الكذب، و"**الفرية**" الافتراء وهو الكذب، و«**أفْرَى الْفِرَى**» يعني أشدّ الكذب «**أنْ يُرِيَ الرَّجُلُ عَيْنَيْهِ مَا لَمْ تَرَيَا**»: يعني يقول: رأيت كذا وهو كاذب، "**يُريها**" يعني يدّعي أنها رأت ما لم تر.

[المتن]

وَأَخْرَجَ حَدِيْثَ سَمُرَةَ بنَ جُنْدُبٍ بِطُولِهِ فِي مَنَامِ النَّبِيِّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– وَفِيه: «وَأَمَّا الرَّجُلُ الَّذِي رَأَيْتَهُ عَلَيْهِ يُشَرْشَرُ شِدْقَيْهِ إِلَى قَفَاهُ، وَعَيْنَيْهِ إِلَى قَفَاهُ، فَإِنَّهُ الرَّجُلُ يَغْدُو مِنْ بَيْتِهِ، فَيَكْذِبُ الْكَذْبَةَ تَبْلُغُ الآفَاقَ».

[الشرح]

ثم أشار إلى حديث سمرة بن جندب، وهو حديث طويل في منام النّبي – عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ– واصطحابه في المنام لجبريل، وذَكَر عقوبات في هـٰـذا الحديث لمن يثقل رأسه عن الصّلاة وللزناة وللذي يكذب الكذبة تبلغ الآفاق، حديث عظيم، من لم يقف عليه ينبغي أن يقف عليه وهو في صحيح البخاري ويقرأه بطوله، وهو حديث مليء بالفوائد في باب العقوبات والتحذير من الكبائر.

والمصنف–رحمه الله– اقتصر هنا على موقع الشاهد فيما يتعلق بالكذب قال: «**وَأَمَّا الرَّجُلُ**» والقائل هنا جبريل للنبي –عليه الصّلاة والسّلام– قال: «**أَمَّا الرَّجُلُ الَّذِي رَأَيْتَهُ**» أي: يا رسول الله، «**يُشَرْشَرُ شِدْقَيْهِ إِلَى قَفَاهُ، وَعَيْنَيْهِ إِلَى قَفَاهُ**» يعني "الشرشرة": القطع، "يُشرشَر الشدق إلى القفا" يعني يُؤخذ بطرف الفم ويُرفع إلى الخلف بأن يُقطع إلى الخلف، وأيضا في شرشرة العين إلى القفا تُقطع إلى الخلف.

والله أعلم أن هـٰـذه العقوبة من جنس العمل؛ لأنه يكذب بفمه، ويُخبر عن شيء بعينه رآه وهو لم يره، فالكذب متعلق بالعين ومتعلق بالفم، والشرشرة إلى قفاه ستمرّ على الأذن قطعا فهـٰـذه عقوبة من جنس عمله، تُقطع هـٰـذه الآلات التي استخدمها لترويج الكذب: "والله رأيت بعيني وسمعت بأذني" هـٰـذا غالبا ما يكون من الكذّاب؛ يُخبر عن شيء سمعه أو عن شيء رآه بفمه كاذبا، فتكون له هـٰـذه العقوبة: "يُشرشر شدقه إلى قفاه وتُشرشر عينه إلى قفاه" يعني تُقطع ثم تعود ثم تُقطع، وهكذا لا يزال يُعذّب بسبب الكذب.

قال: «الرَّجُلُ يَغْدُو مِنْ بَيْتِهِ، فَيَكْذِبُ الْكَذْبَةَ تَبْلُغُ الآفَاقَ» سبحان الله! هـٰذا الحديث في زماننا يعني تتحقق بشكل واسع جدا في مسألة الكمبيوتر والإنترنت، يجلس الإنسان في حجرته وفي بيته ويكتب بيده أو ينطق بفمه بالكذبة، وفي ثانية واحدة تصل العالم كله، كل من عنده جهاز إنترنت تصله هذه الكذبة، تبلغ الآفاق في ثانية، مجرّد ما أن يكتبها ويرسلها في نفس اللحظة تصل إلى الدنيا كلها، «تَبْلُغُ الآفَاقَ»، قديما كانت تبلغ الآفاق؛ ولكن تحتاج إلى وقت؛ يعني يتناقلها أهل المدينة ثم مسافر يذهب إلى مدينة أخرى، وهكذا حتى تنتشر عبر زمن طويل، أما في زماننا تبلغ الآفاق في ثانية واحدة!، الكذبة تبلغ الآفاق في ثانية واحدة.

وهـٰذا الحديث فيه تنبيه وفيه فائدة لمن يتعامل مع الإنترنت: أن يتقي الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-، وألا يضع فيه شيء من الباطل والكذب والضلالات التي تبلغ الآفاق ويبوء بإثم كل من بلغته هـٰذه الكذبة وكل من انطلت عليه وكل من ترتب على رواجها عنده مفاسد، فهذا يدل على خطورة الأمر، وأن الإنسان يعني هو قد يظن أنه في حجرته ويكتب الكلمة وتذهب وما يقول، لا، الله مطّلع عليك، وهـٰذه تُكتب في أعمالك، وكل من تضرر وجنى عليه قولك أو عملك هذا كل ذلك يُكتب في موازين سيئات الإنسان.

[المتن]

وَعَنْهُ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «يُطْبَعُ الْمُؤْمِنُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ لَيسَ الخِيانَةَ وَالكَذِبَ» رُوِيَ بِإسنادَينِ ضَعِيفَينِ عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

وَعَنْهُ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: «إِنَّ فِي الْمَعَارِيضِ لَمَنْدُوحَةٌ عَنِ الْكَذِبِ».

[الشرح]

إذا الإنسان أصابه موقف معيّن ووجد نفسه مضطر فـ«فِي الْمَعَارِيضِ لَمَنْدُوحَةٌ عَنِ الْكَذِبِ» يُعرِّض ولا يأتي بالكذب الصُراح وإنما يُعرِّض، والتعريض أن يأتي بكلام موهم يعني ليس كذبا صريحا وإنما كلام موهم، ويتخلص به من الموقف الذي كان مضطرًا فيه للكذب.

[المتن]

وَقَالَ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «كَفَى بِالمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِ مَا سَمِعَ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

[الشرح]

تحديث الإنسان بكل ما سمع هذا هو قناة الكذب وسبيلها: أن يحدِّث بكلّ ما سمع، وأن تكون مطيَّته: زعموا، وقيل، وسمعت، وينقل كل ما يسمع، هـٰذا فيه خطورة على الإنسان والجناية عليه وقناة تُفضي به إلى الدّخول في الكذب، ولهذا قال – عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ-: «كَفَى بِالمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُحَدِّث بِكُلِ مَا سَمِعَ».

[المتن]

وَقَالَ –عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: «الْمُتَشَبِّعُ بِمَا لَمْ يُعْطَ كَلَابِسِ ثَوْبَيْ زُورٍ» رَوَاهُ مُسْلِم.

[الشرح]

تشبُّع الإنسان بما لم يُعط نوعٌ من كذب، "أنا الذي فعلت كذا ، أنا الذي حصل مني كذا"، يتشبَّع بما لم يعط، يُخبر عن نفسه بأمور ليس فيها حقيقة أو واقعا فيه، فيريد أن يجلب لنفسه مدحةً أو ثناء أو مكانةً عند الناس فيبدأ يذكر عن نفسه من الخصال أو الصفات أو الأعمال تشبُّعا بما لم يعط فهو «كَلَابِسِ ثَوْبَيْ زُورٍ».

[المتن]

وَقَالَ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيث» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

[الشرح]

أيضا هـٰذا من الأمور التي هي قناة للكذب: اتباع الظن، والتحدث والإخبار بالأمور الظنّية التي لم يتيقن منها الإنسان، ولهذا قال : «إِيَّاكُم وَالظَّنَّ» يعني احذروه «فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ».

[المتن]

وَقَالَ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «ثَلاثَةٌ لا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ...» الحَدِيثَ. وفِيهِ: «مَلِكٌ كَذَّابٌ» رَوَاهُ مُسْلِم.

[الشرح]

مرّ معنا هـٰذا الحديث وعرفنا أن الذّنب إذا لم يكن هناك الباعث عليه فالجرم يكون أخطر، والمِلك هو ليس بحاجة إلى الكذب لأنه بيده سلطة، عادة الكذب من الضّعيف، فإذا كان وُجد فيه الكذب فهذا دليل على فساد، ولهذا جاءت العقوبة الشّديدة له إن كان كذلك.